القسم الثالث

فى طريق الاتحاد الجبرى

١ — إن العالم الإسلامى فى يقظته وفى كفاحه ضد الاستعمار الانجلو سكسونى والأوروبى والصهيونى يواجه ثلاث هيئات اتحادية! الاتحاد السوفييتى فى الشمال ، والاتحاد الفرنسى فى المغرب ، والاتحاد الهندوكى فى الهند . وكل اتحاد منها يعطى لنفسه مظهر حركة تقدمية [1] يصبغها بصبغة التحرر [2] ويريد كل منها أن يقنع العالم أن هذا الاتحاد جاء وليد إرادة شعبية ، وأنه فى مصلحة هذه الأمم وفى الهند يأخذ الاتحاد شكل حركة قومية كبرى ، ولو كان الأمر قاصرا على المناطق التى يسود فيها الروس والفرنسيون والهندوس لما أثار ذلك اعتراض أحد من الناس .

٢ — ولكن الباحث المدقق لا تغريه الألفاظ والمظاهر إذ يتبين له أن كلا منها ينتزع أقطارا شاسعة ، ويحاول أن يضم أمما إسلامية ،

(1) Prorgessiste
(2) D' Emancipation

لا تمت بصلة إلى الاتحاد الذى يفرض نفسه فرضا عليها ، ولذلك لا تلبث أن تنكشف حقيقة هذه الأنظمة الاتحادية ، حينما يتعلق الأمر بمستقبل الشعوب الإسلامية وحريتها ، إذ تبدو لنا هذه الأنظمة فى ثوب قوات رجعية (١) تعسفية (٢) لا تمنح للمسلمين حريتهم وحقهم فى تقرير مصيرهم ، بل تجعل للتحكم والسيطرة والاستغلال الاقتصادى شكلا جديدا براقا لا يغتر به إلا الواهمون. فالاتحاد الفرنسى يحاول بقوة التشريع ضم أراضى شمال أفريقية وسكانها ، وهم أكثر من عشرين مليونا ، لهم تاريخهم وثقافتهم وشخصيتهم ، دون أن يسمح لهم بأبداء رأى فى هذا الاتحاد . والاتحاد السوفييتى يضم أكثر من أربعين مليونا من المسلمين الآسيويين لا يسمع لهم صوت ، ولا يسمح لهم بالاتصال بالعالم الخارجى . والاتحاد الهندى يحارب كيان دولة الباكستان الإسلامية ويحاول القضاء عليها وابادة الاقليات الإسلامية او أضعافها .

٣ـ ولا يمكن للعرب فى إفريقية والمسلمين فى آسيا قبول وضع من الأوضاع يجعل منهم أقلية فى بقعة من بقاع الأرض ، لأن تجارب الماضى كانت شديدة الوقع عليهم ولذلك فهم لا يسلمون للأقدار أن تتحكم فيهم مرة أخرى ثم هم أصحـــاب مجد وتاريخ وصولة على

---

(1) Rétrograde
(2) Arbitraire

هذا الكوكب الأرضى ، وهو تاريخ حافل بأيام العراك والكفاح والنصر والهزيمة، وهوفى قوتهوبروزه وأثره لا يمكن أن يقارنبه تاريخ أى أمة من أمم الأرض مهما علا كعبها فى الحضارة . وقد ألقى علينا هذا الماضى درسا قاسيا لا يمكن أن ننساه ، فنحن قد فقدنا ملايين من العرب فى أسبانيا ، وجزائر صقلية ، وسردينيا ، وكريت ، ومالطه كانوا عربا دخلوا هذا البلاد واستوطنوها ؛ ثم زالت أيامهم ، فأدمجوا بالسيف فى جنسيات وأديان أخرى ، ولاتزال دماء العروبة فى عروقهم إلى اليوم وهناك ملايين من المسلمين كانوا سادة فى القرم ، ورومانيا ، والبلقان ، فأين هم اليوم؟ إنهم يوم أن أصبحوا أقلية أفناهم الظلم والاستبداد .(١)

٤ — ولهذا فكل اتحاد يفرض بالقوة على أقطار المغرب وشعوبه العربية ويحول بينهم وبين جامعتهم هو حركة استعمارية رجعية تعسفية تستهدف إفناء العروبة والإسلام ، والوقوف أمام نهضة الشعوب العربية فى مراكش وتونس والجزائر وأضعافها كقوة فعالة فى تاريخ العالم ، ولذا وجب على كل فرد منا أن يفهمها على حقيقتها ، وأن يشعر بالأخطار التى تهددنا من هذه الناحية ، وأن نحشد كل مالدينا من القوى الروحية والعقلية للوقوف أمامها حتى يشعر العالم أجمع أنه ليس فى عزمنا نحن معاشر الأمم الإسلامية والعربية أن نفنى

(١) كتب هذا قبل نكبة فلسطين التى لا تعادلها غير نكبة الأندلس

بهذه السهولة من الأرض فتذهب ريحنا لدى الصـــدمة الأولى .

٥ — وقد عرضنا فى القسمين المتقدمين لمصاعب الاستعمار الفرنسى ، ولمسنا تأخره عن ملاحقة العالم ، وكشفنا عن إفـــلاس فرنسا كدولة حاكمة وقلنا : إن هـذه الأمور جهر بها كتاب الغرب ، وسلم بها الفرنسيون أنفسهم ، أو فريق منهم ، وكنا نقدم للقارىء ما يحول بنفسية الفرنسيين من آمال وسط هزائمهم ، وبعد أن ظهر للعيان تقصيرهم وكنا نرمى بهذا أن نضع الحقائق مجردة أمام القارىء ، حتى يكون على علم بأقوال الخصم ، وما يدخلها من غرور ووعيد ، وغايتنا من ذلك أن يفهم العالم العربى أن محاربة الاستعمار تستلزم الوقوف على أساليبه والألمام بطرقه ، وأن الدول الغاصبة مهما كانت سياستها غاشمة ومع ما بين أيديها من وسائل القمع تحاول أن تفرغ هذه السياسة فى قالب يقبله العقل ويسلم به ، فعلى الذين نصبوا أنفسهم للجهاد أن تتسع صدورهم لأقوال الخصم ، وأن يروضوا أنفسهم على الحقائق ، وإن كانت مرة ليتسنى لهم تحقيق مارسموه لأنفسهم ومبادئهم من أهداف .

٦ — والدول الأستعمارية لا تفهم ما نقرره لأنفسنا ، بل لاتسلم به وإنما لديها المنظمات التى توافيها بكل صغيرة وكبيرة عنا ، وهى لاتنوى أن تتنازل عن أملاكها ومستعمراتها أو تفرط فى حق من حقوقها

إلا بالقدر الذى تنتزعه الشعوب منها . وهذه الشعوب فى تقدمها نحو الوعى القومى واليقظة تؤمل فى أن تتشبع بالحقائق حتى لاتذهب جهودها وضحاياها هباء[1]، ثم هى تروم أن تحقق لها مجداً وأن تسير فى طريق التحرر والخلاص ، وأن تعالج مشاكلها على ضوء العلم ووضع الأمور فى نصابها. فعلى المتصدرين للحركات العامة أن يهيئوا أنفسهم للقيادة ، و لا يكون ذلك بغير العلم والبحث والدرس ، وتتبع الدول الاستعمارية والكشف عن أغراضها ومراميها ، والوقوف موقف الحريص على حقوق هذه الشعوب بل موقف المتيقظ للدفاع عنها أمام الضمير العالمى .

٧ — وقف فى القرن الماضى بعض الكتاب الأنجليز ، يتحدثون عن أعباء الرجل الأبيض ومسئولياته إزاء الشعوب المحكومة ، فقالوا إنه يحمل عبئا ثقيلا هو قيادة هذه الشعوب نحو الحضارة والتقدم ، وفى نفس الوقت أطلق كتاب اوربا على دولة آل عثمان اسم رجل اوربا المريض ، فمن كان ينتظر بعد مضى سنوات ان تتبدل احوال الكون ، وان تصبح الأوضاع مقلوبة ، فاذا الامبراطورية الفرنسية هى الرجل المريض الذى تخشى الدول الغربية وفاته ، وإذا من أعباء الرجل الأبيض ممثلا فى الحكومات الانجلوسكسونية بريطانيا وأمريكا حماية امبراطورية مريضة فى

---

(١) كما حدث لاهل فلسطين

حالة النزع والمحافظة على وحدتها ، وأحيانا مجاملتها على حساب حرية الأمم المغلوبة على أمرها ؟

٨ — إن الاسلحة والمعدات الحربية التى تسلمتها من هذه الدول لم تستعملها فى قتال الألمان ، وتحرير البلاد منهم ، وانما وجهت الى صدور الشعوب المظلومة فى مدغشقر والهند الصينية ، وهذا العتاد سيستعمل يوما ضد أمم العروبة فى المغرب فما الثمن الذى قبضه الرجل الأبيض ؟ أهو تحطيم السور الفولاذى حول المستعمرات امام نشاطه وفتح حدودها واعتبارها اسواقا تجـــارية له ؟ وما الذى كسبت فرنسا الأم الحنون أكسبت المجدالدائم للسيطرة وأن تمر العمليات والصفقات بطريق باريس ، بدلا من أن تتجه رأسا الى أراضى المستعمرات وهل فى سبيل ذلك يسلم الرجل الابيض ببقاء فرنسا مدة أخرى فى شمال إفريقيه محتفظا لنفسه بحق الرجوع مرة ثانية اليها اما لتحريرها أو للمساعدة فى تهدئتها .

هذا ماسنكشفه لنا الايام فى المستقبل القريب .

٩ — فى الوقت الذى كان رجال فيشى يفضلون فيه التضحية بأراض من فرنسا ، محافظة على وحدة املاكهم الافريقية كان الفرنسيون الأحرار يفكرون تفكيرا استعماريا من نوع آخر ، فقد عقدوا قبل نهاية الحرب مؤتمرا لهم فى مدينة برازافيل بافريقيه ، جمع عددا

من حكام المستعمرات تبادلوا الرأى فيما بينهم ، واتخذوا قرارات بشأن سياسة المستقبل ، بعد أن استعرضوا مسائل هامة :

منها العمل على رفاهية السكان الوطنيين ، ورفع مستواهم المادى مع تحسين حالتهم الفكرية والإجتماعية ، وعرضوا لمسائل التعليم ، وأثر الدين ، وتوزيع العدالة ، ثم بحثوا مسائل الحكم الذاتى ، والإدارة المباشرة ، وغير المباشرة . واتخذت قرارات سرية نحو وحدة الأمبراطورية ، والسير بها فى طريق الإتحاد الفرنسى .

١٠ — وهذه القرارات هى التى نقلوها معهم إلى الجزائر ، وأدمجوها فى مشروع الدستور الجديد . فعلى الذين يدرسون هذا الاتحاد أن يرجعوا إلى بحث قرارات هذا المؤتمر الاستعمارى وابحاثه واهدافه ومراميه .

ان فرنسا تعرف جيدا ان مستقبل الاستعمار والقارة الافريقية مما يشغل بال منظمة هيئة الأمم المتحدة الامم وتؤمن أن الاستعمارية لا تكافح عن املاكها بالكتائب والمال والسلاح فقط بل بالعقل والمنطق والعلم

اننا يجب ان ننظر الى مؤتمر برازافيل على انه محاولة فرنسية لابقاء سيطرة فرنسا على مستعمراتها كاملة غير منتقدمة .